اليهودية المعاصرة.

الأصولية بين الحاضر والمستقبل

فرد الكاتب الفصل السادس، «الاتجاهات الحالية وما يترتب عليها في المستقبل»، لتناول احتمالات نمو واتساع الحركة الأصولية في اسرائيل، وأهم المعضلات التي تواجهها هذه الحركة. ولعل أبرز هذه المعضلات يتمثل في موضوعة الاستيطان الذي كان الأداة الأساسية لنجاح الأصوليين السياسي. فقد انخفضت وتيرة الاستيطان نتيجة الأزمة الاقتصادية التي تفاقمت في اسرائيل في السنوات الأخيرة، ونتيجة لفشل الأصوليين في اجتذاب أعداد كبيرة من اليهود للاستيطان في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، وعدم قدرة الحركة الأصولية على توفير فرص العمل للمستوطنين داخل مناطق استيطانهم؛ هذا اضافة الى ضعف الحوافز الصهيونية والدينية لدى المستوطنين اليهود في الضفة والقطاع، حيث تبيّن ان اكثر من ثلثهم انتقلوا الى الاستيطان في الضفة والقطاع لأسباب اقتصادية واجتماعية، ولم يكونا مدفوعين بحوافز أيديولوجية.

واضاف المؤلف، الى معضلة الاستيطان، معضلات أخرى تعوق نمو الحركة الأصولية، منها اشكالية العلاقة بين الأصوليين وقطاع واسع من المتدينين الشباب الذين ينزعون نحو المغالاة في التديّن والاهتمام بأمور الآخرة والانصراف عن القضايا الوطنية التي ارتبطت بفوش ايمونيم، الأمر الذي يفقد الأصولية جزءاً هاماً من احتياطها البشري الذي اعتمدت عليه عند نشأتها.

ختم لوستيك كتابه بالفصل السابع «تقويم امكانات الأصولية اليهودية في المدى البعيد»، ليقدم قراءة استشرافية للوقوف على المصادر التي تستمد منها الأصولية قوّتها الكبيرة، وما يمكن ان تؤول اليه الأمور اذا ما اتيحت الفرصة للأصوليين للسيطرة على دفّة السياسة الاسرائيلية.

ومع ان الكاتب لا يبالغ في قوة الأصولية اليهودية الراهنة، أو المحتملة مستقبلاً، فانه جزم بأن حالة الارباك التي تسود في الحياة السياسية في اسرائيل تشكل المناخ الملائم لنمو الأصولية اليهودية. فهو يرى «ان الجو السياسي المحموم الناتج عن عجز اسرائيل عن الفكاك عن المناطق المحتلة، أو عن ضمّها، مع ما يرافقه من دورات عنف، وخزي دولي، وتهديدات بالحرب... تخلق أوضاعاً مؤاتية لتعزيز جاذبية الأفكار الأصولية».

أمّا عواقب نمو الأصولية، فيرى لوستيك انها تتركز في مجالين: الأول المجال الداخلي الاسرائيلي، حيث مخاطر التمزق بين تصوّرين متناقضين للكيان الاسرائيلي؛ والثاني هو المجال الخارجي، حيث يتجسّد خطر اغلاق السبل أمام التسوية السياسية، وتزايد احتمالات الحرب. والأخطر من كل ذلك، من وجهة نظر الكاتب، هو تأثر مصالح الولايات المتحدة الأميركية وعلاقاتها باسرائيل. كتب لوستيك: «ان نشوء نظام اسرائيلي يعتمد على النخبة الأصولية، ان لم يكن منقاداً لها، سيقضي على العلاقة الخاصة بالولايات المتحدة الأميركية. تلك العلاقة القائمة على مدركات من الغايات الخلقية والسياسية والثقافية». وهو يرى ان دولة اسرائيلية تحكمها الأصولية يمكن ان تمنع السياسة الخارجية الأميركية ومصالحها الأمنية في مواجهة تحديات صعبة، لا تقل عن التحديات التي نجمت عن الثورة الاسلامية في ايران. وهو لذلك، يدعو صانع القرار الأميركي الى دعم اولئك الذين يعملون في اسرائيل ضد الأصوليين وحلفائهم.

لقد وضع لوستيك كتابه «الأصولية اليهودية في اسرائيل» بموجب عقد لصالح برنامج دعم البحث الأكاديمي في مجال الدفاع التابع لوزارة الدفاع في الولايات المتحدة الأميركية. أي ان الكتاب، بحد ذاته، يعكس اهتمام الولايات المتحدة الأميركية الرسمي بظاهرة الأصولية اليهودية في اسرائيل، ورغبة صاحب القرار الأميركي في تحييد هذه الحركة ومنعها من تخريب العلاقات الأميركية ـ الاسرائيلية، واعتراض عملية التسوية السياسية في الشرق الأوسط التي ترعاها الولايات المتحدة.

ولم يغب هذا الهدف عن مؤلف الكتاب. ولكنه، في الحقيقة، لم يوفق في تحديد أساليب عملية واضحة